

القسم الأول : البدايات



إِنَّ طَلَبَ الْعِمَادِ هُوَ طَلَبُ الْوَلَادَةِ الْجَدِيدَةِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. يَجِبُ الْإِنْتِبَاهُ أَلَّا يَكُونَ الْمَهْدَفُ تَغْيِيرَ الدِّينِ حَسَبَ بَيَانَاتِ الْقَيْدِ، أَوْ الزَّوْاجِ مِنْ طَرَفِ مَسِيحِيٍّ، أَوْ الْحَصُولِ عَلَى مَنْصِبٍ اجْتِمَاعِيٍّ، أَوْ مَا شَابَهُ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ. يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْغَايَةُ التَّعَرُّفُ إِلَى يَسُوعَ وَالِاتِّقَاءُ بِهِ شَخْصِيًّا أَوْ بِالْأُخْرَى مُلَاقَاتِهِ هُوَ الَّذِي يَبْحَثُ عَنْ كُلِّ إِنْسَانٍ لِيُعْطِيَهُ الْخَلَاصَ. لِذَلِكَ ارْتَأَيْنَا أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعُ التَّعَرُّفِ إِلَى الْوَلَادَةِ الْجَدِيدَةِ بِالْمَاءِ وَالرُّوحِ أَوَّلَ إِعْلَانٍ إِيمَانِيٍّ لِلْمَوْعُوظِينَ.

ولقد اخترنا أن يكون تصميمُ كتابِ تَنْشِئَةِ الْمَوْعُوظِينَ تَصْمِيمَ الْإِنْجِيلِ بِحَسَبِ مَتَّى الَّذِي كَانَ، حَسَبَ شَهَادَةِ كُلِّ الْبَاحِثِينَ، إِنْجِيلَ التَّعْلِيمِ الْمَسِيحِيِّ الْأَسَاسِيِّ لِلْمَوْعُوظِينَ فِي الْأَجْيَالِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى، لِأَنَّهُ اِهْتَمَّ بِتَجْمِيعِ كَلِمَاتِ الْمَسِيحِ وَجَعَلَهَا فِي خَمْسِ عِظَاتٍ، مُحَاطَةً بِمَقْدَمَةٍ حَوْلَ الطِّفْلِ، وَبِخَاتَمَةٍ حَوْلَ الْأَلَامِ وَالْمَوْتِ وَالْقِيَامَةِ. نَذَكُرُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ دَرَاةً² مِنْ سَنَةِ ١٩٥٠ تُقَارِنُ بَيْنَ اسْتِعْمَالَاتِ الْأَبَاءِ لِإِنْجِيلِ مَتَّى فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِهِمْ لِسَائِرِ كُتُبِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَتَخْلُصُ فِي أَنَّ مَتَّى كَانَ الْأَكْثَرَ قِرَاءَةً وَالْأَكْثَرَ اسْتِشْهَادًا بَيْنَ كَافَّةِ كُتُبِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: لَا سِغَرَ آخَرَ مِنَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ يُضَاهِيهِ لَا يُوْحِنَا وَلَا بُولْسَ! عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، إِنَّ إِنْجِيلَ مَتَّى هُوَ الْإِنْجِيلُ الْكَنْسِيُّ وَاللِّيْتُورْجِي الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ نَتَعَلَّمُ كَيْفِيَّةَ الْعَيْشِ ضِمْنَ جَمَاعَةِ الْمَلَكُوتِ، كَأُخُوَّةٍ يَغْفِرُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (مَتَّى ١٨) وَيَعْبُدُونَ رَبًّا دَائِمَ الْحُضُورِ - عَمَّا نُوَيْلِ (مَتَّى ١: ٢٣؛ ٢٨: ٢٠) - فِي وَسْطِهِمْ. فَمَنْ يَقْرَأُ إِنْجِيلَ مَتَّى، يُحْيِلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ دَاخِلٌ إِلَى كَاتَدْرَائِيَّةٍ يَعْبُقُ فِيهَا الْبُخُورُ وَتَصْعَدُ مِنْهَا صَلَوَاتُ الْمُؤْمِنِينَ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى طِفْوَلَةِ الْمَسِيحِ، فَيَعْرُضُ مَتَّى قِصَّةً دَرَامَاتِيكِيَّةً يَغْلِبُ عَلَى طَابِعِهَا الْإِضْطِهَادُ وَالْقَتْلُ مِنْ خِلَالِ هِيرُودَسِ الْمَلِكِ الَّذِي تُقَابَلُهُ شَخْصِيَّةُ يُوسُفَ الَّذِي يَنْشَطُ فِي حِمَايَةِ الطِّفْلِ. أَمَّا عِنْدَ لُوقَا،

² E. MASSAUX, Influence de l'évangile de Saint Matthieu sur la littérature chrétienne avant Saint Irénée, BETHL 75, Leuven 1950.

فَيَغْلُبُ عَلَىٰ إِنجِيلِ الطَّفُولَةِ طَابِعُ الفَرَحِ وَالْأَنَاشِيدِ: فالأشخاصُ كُلُّهُمْ إيجابيون ويُساعدونَ القارئَ لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ إِذْ قَبِلُوا الطِّفْلَ يَسُوعَ ابْنَ اللَّهِ وَفَرِحُوا بِمَوْلِدِهِ. وبما أَنَّ أَغْلَبِيَّةَ الموعوظين الآتينَ مِنَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ هُمُ مِنَ الدِّينِ الإِسْلامِيِّ، اخترنا أَنَّ نَتحدَّثَ عَن مَرِيَمَ فِي بِشارَتِها وَوِلادَتِها لِلطِّفْلِ عِنْدَ لَوْقا بَدَلًا مِنَ التَّحدُّثِ عَن يُوسُفَ عِنْدَ مَتَّى، نَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ مَوقِعِ مَرِيَمَ فِي القُرْآنِ وَتَحاشيًا لِأَخْطَاءِ قَد يَكُونُ سَبَبُها إِنْزِلَاقُ المَعلُوماتِ مِنَ دِيانَةِ إِلى أُخْرى عَلى غَيرِ وَجْهِ حَقٍّ. وَلَكن، بَعْدَ الحَدِيثِ عَن البِداياتِ فِي هَذِهِ الفِصُولِ الثَّلاثَةِ التَّالِيَةِ نَعُودُ إِلى إِنجِيلِ مَتَّى فِي الفِصْلِ الرَّابِعِ لِنَسْتَقِي مِنْهُ التَّعْلِيمَ الأَساسِيَّ لِمَن يَبْغِي التَّعَرُّفَ إِلى المُعَلِّمِ الإِلهِيِّ وَاتِّباعِهِ فِي مَسِيرَةِ حَياتِهِ الجَدِيدَةِ.

